دور الملوك الآشوريين في منطقة الخليج العربي في ضوء المعطيات التاريخية والمصادر المسمارية

أ. م. خالد علي خطاب
جامعة تكريت – كلية الآداب

الملخص:

نظراً لما تتمتع به منطقة الخليج العربي من موقع تجاري واستراتيجي مهم وحضارة عريقة موغلةً في القِدم ذات الأبنية الضخمة والآثار الشامخة الشاخصة حيث تسمى الخليج بأسماء كثيرة على مدى التاريخ مما جعل ملوك بلاد الرافدين يتوافدوا إلى تلك المنطقة الغنية بالموارد الطبيعية ذات الخيرات الوفيرة فينهلوا منها ويفرضوا عليها الجزية بل وبدأت الهدايا تقدم من ملوك الخليج آنذاك لملوك بلاد الرافدين فتوطدت العلاقات وحل السلم والأمن ودامت الصلة بينهما.

The Role of Assyrian Kings in the Arab Gulf in the Light of Historical Data and Cuneiform Sources

Assistant Prof. Khalid Ali Khattab
Tikrit University- College of Arts

Abstract:

The Arab Gulf area has an important trade and strategic position as well as an ancient deep civilization which has very huge and outstanding buildings. The gulf was named with different names through history which made the kings of Al-Rafidain region came to live in that rich area of different graces. They utilized it and put Jizia, however; gifts were given to the kings of Al-Rafidain region by the kings of gulf, so relations were very strong and peace was overspread.

المقدمة:

إن الحديث عن دور الملوك القدامى ومنهم ملوك بلاد الرافدين يُستقى بالدرجة الأولى من النصوص المسمارية والتنقيبات الأثرية والمعطيات التاريخية لذا يُعد ملوك بلاد الرافدين وخاصة الملوك الآشوريين من أقوى ملوك دول الشرق الأدنى القديم وذلك من خلال بسط نفوذهم وسيطرتهم على الكثير من الدول وإخضاعها لحكمهم حتى غدت بلاد آشور امبراطورية عظيمة فقامت بالسيطرة على الممرات التجارية المهمة الرابطة بين الشرق والغرب وخاصة في فترة العصر الآشوري الحديث والذي يبدأ من حكم الملك أدد- نيراري الثاني ٩١١ ق.م وحتى سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م.

فالآشوريين هم القوة الضاربة آنذاك فبسبب تلك السيطرة واتساع نفوذهم قاموا بجلب بعض الحيوانات وبعض المواد الأولية والتي هم بحاجة ماسة اليها كالأخشاب المختلفة كأخشاب الأرز وجلبوا المعادن من المناطق التي هيمنوا عليها.

وبعد بسط سيطرتهم بدأت تلك المناطق التي خضعت لهم بدفع الجزية وارسال الهدايا لبلاد آشور ومن أبرز المناطق التي خضعت لهم منطقة الخليج العربي وهذه المنطقة تُعد من المناطق المسالمة والطيبة ولديهم السياسة القوية والتي لم ترد في التاريخ القديم أي اشارة عِدائية منها تجاه بلاد الرافدين. حيث إننا نجد خلال هذا البحث أن ملوك الخليج لديهم الحنكة والسياسة وبعد النظر فعندما رأوا تزايد نفوذ الآشوريين وتمكنهم من السيطرة على الأقسام الجنوبية من العراق قام ملك دلمون بمهادنة ملوك آشور.

ففي هذا البحث تطرقنا إلى محورين مهمين **الأول** منهما متعلق بجغرافية الخليج العربي والأسماء التاريخية التي أطلقت عليه ومراكزه الثلاث والمتمثلة بدلمون ومكَان وميلوخا، ثم أعطينا فكرة موجزة عن العلاقات المشتركة بين منطقة الخليج العربي وبلاد الرافدين من النواحي المختلفة كالثقافية والحضارية والتجارية بفرعيها النهري والبري.

أما **المحور الثاني** فتحدثنا فيه عن الملوك الآشوريين الذي كان لهم شأن في منطقة الخليج العربي ومنهم الملك توكلتي- ننورتا الأول، الملك شمشي- أدد الخامس، الملك شلمنصر الثالث، الملك سرجون الثاني، الملك سنحاريب، الملك أسرحدون، الملك آشور- بانيبال، وبعد الملك المذكور آنفاً لا توجد عندنا أدلة ببقاء تلك المنطقة خاضعة لبلاد آشور فمن المؤكد أنها خضعت لحكم السلالة الكلدية.

المحور الأول

جغرافية الخليج العربي:

تقع منطقة الخليج العربي في موضع جغرافي مميز. يضاف إلى ذلك اتصاله المباشر بالرافدين دجلة والفرات، إذ يربطه الرافد الأول (دجلة) ببحر قزوين، والمناطق الشرقية لبلاد الأناضول،

أما الرافد الثاني (الفرات)، فيربطه بسواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية، فضلاً عن المناطق الشمالية الشرقية لسوريا، وجزء من المنطقة الجنوبية الغربية لبلاد الأناضول، وقد نقل عن طريق هذين النهرين كثير من السلع التجارية ما بين تلك المناطق ومنطقة الخليج العربي، وحتى وادي السند والهند شرقاً وسواحل أفريقيا الشرقية غرباً، وبالعكس، إن الموقع الجغرافي المميز للخليج العربي جعله موضع اهتمام العديد من القوى السياسية والاقتصادية منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، لذا شهد كثيراً من الأحداث السياسية وحقباً ثقافية متنوعة، وقد أكدت الكشوف الأثرية امتزاج ثقافات وادي الرافدين بثقافات الخليج كيف إن مياه الخليج العربي كانت أحد المنافذ المائية لنقل ثقافات وادي الرافدين إلى بعض أقاليم آسيا وأفريقيا، كما لا يستبعد وصول ثقافات وادي الرافدين وعن طريق مياه الخليج العربي إلى السواحل الصينية[١].

تمكن بعض ملوك بلاد الرافدين من تدوين أسماء البلدان والمدن التي فتحوها ودونوا حركاتهم وتنقلاتهم من مدينة إلى أخرى ما نصه: (مسيرة ١٢٠ ساعة مضاعفة بين منابع الفرات وبلاد ميلوخا (عمان) ومَكَان. الحدود التي فتحها سرجون ملك العالم، عند سيطرته على كل البلاد المغطاة بالسماء. الحدود التي حددها بالقياسات التي ثبتها)، وبعد ذلك يدون الكتبة ثبتاً بأبعاد حدود كل بلد وكمثال على ذلك:(٩٠ ساعة مضاعفة مساحة بلاد عيلام، ١٨٠ ساعة مضاعفة مساحة بلاد أكد)، وبعد ذلك أيضاً يخبرنا النص بالحدود العامة وتخصيص بعض البلاد المجاورة لها ومن ذلك ذكره للبحر العلوي (البحر المتوسط) وبعض البلدان عبر ذلك البحر. والبحر السفلي (الخليج العربي) مقترناً بدلمون (البحرين) وميلوخا (عمان) ويمضي فيخبرنا بالأقاليم من الشرق إلى الغرب[٢]. وهكذا كان لملوك وادي الرافدين معرفة واسعة بجغرافية المناطق التي وصلوا إليها[٣].

الأسماء التاريخية التي أطلقت على الخليج:

لقد عرفت منطقة الخليج العربي في المصادر التاريخية القديمة بعدة أسماء حيث وردت في نصوص العهد الأكدي بهيئة أرض البحر (مات- تام- تيم) Mat-tam-tim. حيث يذكر

الملك سرجون الأكدي أنه جلب غنائم من هناك أي (**أرض البحر**)، أما الآشوريون فقد أطلقوا على الخليج عدة أسماء منها: **البحر المر (المالح)**[٤] ويُطلق عليه بحر شروق الشمس باللغة السومرية بالمصطلح U4 . E . A ويقابل باللغة الاكدية šamši sasit tamti و**البحر الكلداني** وهذه التسمية هي التي أطلقها عليه كذلك الكلدانيون[٥] و**البحر الأسفل:** يُطلق على البحر الأسفل باللغة السومرية بالمصطلح A . AB . BA . SIG ويقابل باللغة الاكدية tamti šapliti[٦]. و**البحر المخيف:** سماه بهذا الاسم الملك سنحاريب وذلك عندما أبحر هو وجنده في هذا البحر لأول مرة[٧].

أما الكتاب والمؤرخون والجغرافيون، والرحالة الكلاسيكيون (اليونان والرومان) فقد سموا الخليج العربي باسم **البحر الأرتيري**، أي **البحر الأحمر**[٨]، أطلق على الخليج العربي هذه التسمية كلٌ من الكُتاب والمؤرخون والجغرافيون، والرحالة الكلاسيكيون (اليونان والرومان)[٩]. ويطلق عليه **البحر الأدنى:** وذلك في مقابل البحر الأعلى التي أطلقت على البحر المتوسط[١٠]. و**البحر الجنوبي**[١١].

مراكز الخليج العربي:

يتكون الخليج العربي من ثلاث[١٢] مراكز:

١- دلمون (dilmun^{ki})

٢- مكَان (má-gan)

٣- ميلوخا (me-luḫ-ḫa^{ki})

لقد طرحت عدة آراء حول مواقع هذه المراكز (أقاليم) إلا إنه بات من المؤكد الآن أن إقليمي **دلمون ومكان** يقعان في منطقة الخليج العربي، وبالذات على ساحله الغربي. أما إقليم **ميلوخا** فإنه من المرجح أن يكون موقعه وادي السند إن لم يكن ضمن حدود الساحل الغربي للخليج العربي أيضاً[١٣].

لقد أخذ الخليج العربي ومراكزه التجارية مكان الصدارة والقدم في الاتصالات التجارية العراقية القديمة، إذ كانت سواحله الغربية طريقاً جيداً أمام وسائط النقل البحرية، ومن الأمور التي ساعدت على إتاحة الفرصة أمام وسائط النقل النهرية ضحالة المياه على مقربة من الساحل الغربي وكثرة تعرجاته وانتشار عدد من الجزر القريبة منه، إن افتقار منطقة الخليج العربي للمنتجات الزراعية والحيوانية والتي يتم الحصول عليها من المدن العراقية مقابل ما ينقل منه سلع وبضائع كان من العوامل المنشطة لعملية التبادل التجاري مع بلدان الخليج العربي، إن من أهم

المواد المستوردة عن طريق الخليج العربي الأحجار الثمينة كاللازورد والعقيق الأحمر اليماني والأصداف والعاج فكان العراقيون على اتصال مع الخليج العربي منذ عصور ما قبل التأريخ إذ عثر في موقع حسونة على الأصداف البحرية التي استخدمت في صناعة الحلي والتي ربما حصلوا عليها من المناطق الخليج العربي، وتعد المصادر المسماري من أهم المصادر التي تطرقت في موضوعاتها إلى الخليج العربي، إذ أشارت إليه النصوص الاقتصادية وكذلك الوثائق والمعاملات التجارية والنصوص الدينية والقصص والأساطير التي لها علاقة بالفكر الديني، كما لا تخلوا لنصوص الأدبية الأخرى وكتابات الملوك والأمراء من الأعمال التي أنجزوها في المجالات العمرانية والتجارية(١٤).

المركز الأول دلمون (Dilmun)

لقد تميز الألف الثالث قبل الميلاد بتجارة ناشطة بين مدينة أور ومناطق الخليج العربي، وخصوصاً منطقة دلمون في العهود القديمة وكان يتم مقايضة القماش والملابس الجاهزة في سومر. كانت دلمون تجهز سكان بلاد الرافدين القدماء بالمواد الخام، كانت تجهز بالنحاس بصورة قوالب وكتل، ويشكل أنواع كثيرة من الأشياء المصنعة(١٥).

المركز الثاني مكان (má-gan)

كان بين هذا المركز وبلاد الرافدين علاقات تجارية وخاصة بمعدن النحاس من خلال تصديره إلى الأسواق العراقية، وقد أصبح بحكم المؤكد أن مكان (عمان) هي مصدر النحاس وذلك بفضل أعمال التنقيبات التي شهدتها منطقة عمان في السنوات الأخيرة(١٦).

فلدينا العديد من النصوص التي توضح عمليات التجارة التي نفذها العراقيون لاستيراده منها. فقد كانت السفن العراقية تحمل بالأقمشة المختلفة والأصواف ودهن السمسم والجلود والشعير وغيرها من المواد، في طريقها صوب مراكز الأسواق الخليجية، لاستبدالها بالنحاس وبعض أنواع من الحجر. كما يرد ذكر بعض المواد العطرية التي كانت ترسل على شكل هدايا إلى معبد الإله ننار (إله القمر) في مدينة ننار(١٧).

المركز الثالث ميلوخا (me-luḫ-ḫa^{ki})

تقع هذه المدينة في القسم الجنوبي الشرقي من عمان، وكانت على صلات تجارية مع بلاد الرافدين فقد استورد ملوك العراق القديم من هذه المدينة حجر المرمر، وبصدد ذلك يذكر الأمير كَوديا انه استورد من هذه المدينة الأحجار الكريمة مثل الكارنيول و حجر اللازورد، كما كانت (ميلوخا) في العصر الأكدي وعصر أور الثالثة، واحدة من اكثر البلدان الشرقية اتصالاً مع بلاد الرافدين، إذ ذكر الملك سرجون الأكدي أنَّ سفناً من دلمون ومكان وميلوخا كانت تركن على

أرصفة العاصمة (أكد)، وعلى أية حال عندما نقرأ أنَّ حجر اللازورد كان يتم الحصول عليه من (ميلوخا) ونحن نعلم أن مصدر هذا الحجر جبال افغانستان، نستدل بهذا على أن السلع والبضائع كانت تتجمع في مدن الخليج العربي بعد ذلك يتم تصديرها إلى المدن العراقية، وهكذا شغلت هذه المدن دور الوسيط في نقل السلع إلى بلاد الرافدين منذ الألف الثالث حتى العصر البابلي الحديث.، كانت ميلوخا مركزاً تجارياً لتبادل السلع عن طريق السفن، ومن المحتمل أنها في الألف الثالث كانت تشمل منطقة الهندوس أو على ارتباط مباشر بها، وهذهِ الإشارات تدل على أن اللازورد كان ينقل من باكستان إلى سومر عن طريق ميلوخا، كما في ترنيمة للإله ننورتا إلى أن اللازورد من أرض ميلوخا وهذا ما يذكره النص الآتي: (العقيق الأحمر واللازورد من أرض ميلوخا)[١٨].

العلاقات المشتركة

نظراً لغياب التدوين في ماضي الخليج العربي، وبسبب العلاقات الوثيقة والواسعة بين العراق والخليج العربي، لذلك تعتمد المصادر المسمارية من بين أقرب المصادر لدراسة تاريخ وحضارة الخليج العربي. وتعطي المصادر المسمارية فترة طويلة من أحداث الخليج العربي تبدأ من منتصف الألف الثالث ق.م. وتنتهي مع آخر عهود الحكم الوطني في تاريخ العراق القديم والمتمثل بسقوط بابل عاصمة الدولة البابلية الحديثة في عام ٥٣٩ ق.م، تحتل النصوص الدينية المكانة الأولى بين النصوص المسمارية، فهي وإن جاءتنا من فترة زمنية معينة، لكن مضمونها يسري على معظم الفترات التاريخية لبلاد وادي الرافدين. ولأن النصوص الدينية ترتبط بأعماق النفس العراقية وتتصل بخيوط متينة بماضي بعيد سبق العهود التدوينية وتطور عنه، لذلك فإن إشاراتها إلى الخليج العربي تحتل أهمية استثنائية لما يرجح أن يكون لها مدلول عن الأصول المشتركة في الأصل والتاريخ والأرض والخصائص بين المنطقتين[١٩]. فمن هذه العلاقات:

أولاً: العلاقات الثقافية:

مع أن التنقيب قد بدأ وبصورة متقطعة في جزيرة البحرين منذ منتصف القرن الماضي، فإن التنقيبات العلمية لم تبدأ في هذه الجزيرة وباقي أقطار الخليج العربي إلا في مطلع الخمسينات من هذا القرن. وإن أول بعثة تنقيبية من هذا النمط كانت البعثة الدنماركية، لقد كانت البعثة الدنماركية في بداية اعمالها إجراء التنقيب في عدد من المدافن والمستوطنات في جزيرة البحرين. بعد ذلك انتقلت إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كشفت هناك أيضاً عن عدد من المدافن والمستوطنات، إن قسماً من هذه المدافن والمستوطنات يقع قرب سواحل الخليج العربي، وخليج عمان، وبعضها الآخر في القسم الجنوبي لدولة الإمارات العربية المتحدة أي قرب

واحة البريمي، فضلاً عن ذلك فقد قامت البعثة الدنماركية بإجراء التنقيب في كلاً من الكويت وبعض المواقع الأثرية الواقعة على طول الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية. ومنذ مطلع السبعينات قامت عدة بعثات محلية وأجنبية بالتنقيب في عموم أقطار الخليج العربي، وفي أثناء عمل هذه البعثات كُشِفت مجاميع عديدة من اللقى الأثرية، إضافة إلى عدد قليل من الكتابات المسمارية والتي ظهرت في جزيرة البحرين فقط، وبعد أن تمت قراءة أحد هذه النصوص من قبل المختصين ظهر إنها تخص عبادة أحد الآلهة السومرية، أما فيما يخص اللقى الأثرية وبعض المدافن وخاصة تلك المدافن التي كان يكشف عنها على أعماق متباينة وبهيئة جرار، وبعد دراستها تبين أيضاً أن الكثير منها لها ما يشابهها في بلاد الرافدين، إن بعض الدارسين لم يكتف بالمقارنة فحسب بل قاموا بدراسة تفصيلية وشمولية لمعرفة أصل بعض هذه اللقى، وبالذات الفخاريات، وبعد تحليل عينات منها ظهر بأن أصل فخاريات العبيد وجزيرة أم النهار هو وادي الرافدين[٢٠].

ثانياً: العلاقات الحضارية:

وفيما يتعلق بالعلاقات الحضارية بين الخليج العربي والدولة الآشورية فإن كثيراً من المخلفات الحضارية التي كُشِف عنها في أثناء التنقيب في مواقع الخليج العربي وبالذات في جزيرة البحرين وشبه جزيرة عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان)، لها ما يُشابهها في المراكز الآشورية، وبالذات مدينة كلخو(النمرود حالياً)، وفي الواقع فإن اللقى التي ظهر ما يماثلها في المراكز الآشورية والتي هي بالذات الفخاريات والإزار المعمولة من الحجر الصابوني(steatite) والمحلاة بحزوز بهيئة دوائر قد ساعدت البعثات العاملة في الخليج العربي في إعطاء تواريخ ثابتة للمواقع التي كانوا يعملون بها، وفضلاً عن ذلك فإن المدافن التي ظهرت بهيئة جرار. وبعض البرونزيات التي كُشِف عن بعض منها في جزيرة البحرين وبعضها الآخر في إمارة دُبي، في دولة الإمارات العربية المتحدة هي الأخرى أثبتت الاتصال الحضاري المباشر ما بين الدولة الآشورية والخليج العربي، وأخيراً وليس آخراً، فإن التنقيبات التي أجريت في الموقع الآشوري تل الرماح والذي يقع في جزيرة العراق قد كشفت عن أصداف بحرية جُلِبت من منطقة الخليج. إن امتداد الامتزاج الحضاري ما بين الدولة الآشورية والأقاليم الواقعة على طول الساحل الغربي للخليج العربي، يؤكد كون إقليم دلمون والذي جاء ذكره في حوليات الملوك الآشوريين المتأخرين كان يقع على امتداد هذا الساحل[٢١].

ثالثاً: العلاقات التجارية:

يُعد الخليج العربي من البلدان القديمة ذات صلة وثيقة مع بلاد وادي الرافدين ومناطق أخرى كونه أصبح في ذلك الزمن ممراً للتجارة الخارجية بين بلاد الرافدين وبلاد الهند فنجد إن أول إشارة تاريخية للتبادل التجاري ما بين وادي الرافدين والخليج العربي وصلت إلينا من عصر الملك **أور نانشة** (٢٥٢٥ قبل الميلاد) حيث يذكر أحد نصوصه أنه جلب الخشب من الخليج العربي(٢٢).

كما يُستدل من سجلاتهِ أيضاً على نشاط ملحوظ في حقل التجارة الخارجية، حيث يذكر السفن المحملة بالبضائع المختلفة، من بينها الأخشاب والأحجار من دلمون (البحرين)، وهناك عدة نصوص أكدية تؤكد علاقة الدولة الأكدية بالخليج العربي. خلال **عصر سلالة أور الثالثة، وعصري آيسن لارسا**، وصلت العلاقات التجارية ما بين الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين أوج عظمتها بدليل العثور على كثير من النصوص التاريخية وخاصة في موقع أور، تذكر تلك العلاقات والسلع المتبادلة آنذاك(٢٣).

ومن بين الدلائل على استمرار العلاقات بين الجانبين في تلك الفترة، النصوص العائدة للملك أبي- سين ٢٠٢٨- ٢٠٠٤ق.م) التي أشارت إلى استيراد العديد من المواد كالنحاس والعقيق وخشب الميسو من مناطق مختلفة من بينها ميلوخا ومكَان، فضلاً عن تصدير الصوف وزيت السمسم من العراق إلى تلك المناطق عبر الخليج العربي(٢٤).

لقد ازدهرت التجارة الخارجية لبلاد الرافدين مع معظم الأقاليم المجاورة لها لأن بلاد الرافدين من الأقاليم الجغرافية المفتوحة، ويمثل الخليج العربي ومراكزه التجارية مركز الصدارة والقدم في اتصالات بلاد الرافدين القديمة، إذ تشير دلائل المكتشفات الأثرية في كل من مراكز الخليج العربي القديمة وفي مدن جنوبي العراق إلى وجود صلات وثيقة بين الجانبين منذ فترات ترجع إلى (الألف الرابع ق.م)، إذ إن افتقار مناطق الخليج العربي إلى المنتجات الزراعية التي تشتهر بها بلاد الرافدين جعل هناك مصالح متبادلة بين الطرفين(٢٥).

أما المصادر التاريخية **لسلالة بابل الأولى** فإنها تذكر أن المناطق الواقعة شمال منطقة بابل كانت الممول الرئيسي للمواد الخام والسلع التجارية لهذه السلالة. لذا فإن العلاقات التجارية ما بين هذه السلالة وأقاليم الخليج العربي قد توقفت. وكنتيجة لهذا التوقف فإن مدينة أور قد أهملت شؤونها بعد أن كانت الميناء الرئيسي لتصدير واستيراد السلع التجارية من الأقاليم التجارية في منطقة الخليج العربي(٢٦).

ففي العصر البابلي القديم (٢٠٠٤– ١٥١٩ ق.م) توثقت العلاقات التجارية والثقافية، فقد كانت سفن بابل تقصد الخليج العربي والمحيط الهندي لجلب العطور والأحجار الكريمة المستوردة من الهند. فكان الخليج العربي ممراً لتجارة بلاد الرافدين مع بلاد أخرى، وقد أشار غوستاف لوبون إلى ذلك بالقول: (كان البابليون أعظم أمم عصرهم في الملاحة، لأن كلاً من دجلة والفرات كان يصب في الخليج العربي، فأنفتح أمامهم الطريق إلى شواطئ البلاد البعيدة كالهند الغنية بكنوزها)، استمرت علاقات العراق القديم، في العصر البابلي الحديث (٥٣٩– ٢٢٦ق.م) مع بلاد وادي السند، إذ أصبح الاهتمام كبيراً بالنقل البحري، فعلى سبيل المثال بنى نبوخذ نصر الثاني(٦٠٤– ٥٦٢ ق.م) مرفأ ومدينة غرب الفرات، الهدف منها توسيع التجارة الهندية وصولاً إلى بابل عبر الخليج العربي[٢٧].

أما **الفترة الكشية** على بلاد بابل فقد اتسمت بقوة العلاقات التجارية والحضارية مع أقاليم الخليج بدليل أن كثيراً من النصوص الكشية تذكر استيراد مواد غذائية من إقليم دلمون ومن بينها التمر.

إن آخر إشارة لأحد أقاليم الخليج العربي (دلمون) وردت في نص تاريخي يعود إلى الملك نبونائيد آخر ملوك السلالة الكلدية التي حكمت بابل، وبعد **الغزو الإخميني** لبابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد دخل الخليج العربي وأقاليمه التجارية عصر الظلمات لم يخرج منها إلى النور إلا بعد غزو الاسكندر المقدوني لبلاد بابل. حيث أراد هذا القائد تكوين إمبراطورية تكون بابل مركزها، لذا فقد كلف أحد قواده باكتشاف مياه الخليج العربي، وبالفعل فقد قام هذا القائد المدعو نيراخوس Nerachusبالإبحار من الهند وحتى رأس الخليج العربي، أما خلال فترة الاحتلال **الفرثي والساساني** لبلاد وادي الرافدين فقد عطلت الحركة التجارية في الخليج العربي خلالهما، وأُعيدت الحركة التجارية إلى مياهه بعد التحرير العربي الإسلامي لعموم المنطقة[٢٨].

العلاقات التجارية مع بلاد آشور

قبل البدء بالحديث بذكر الملوك الآشوريين وعلاقتهم بالخليج العربي فلا بد من ذكر المسالك التجارية المؤدية لذلك وإليكم ذلك: يبعد رأس الخليج العربي عن الدولة الآشورية قرابة الألف كيلومتر. وعلى ما يبدو فإن البضائع التجارية كانت تصل إلى الدولة الآشورية عن طريقين رئيسيين هما: **الطريق النهري**: كما هو معلوم عن مياه نهر دجلة كانت ابان العصر الآشوري الحديث لا تصل إلى الخليج العربي مباشرة. أما نهر الفرات فإن مياهه كانت تصب مباشرة في مياه الخليج العربي. لذا فإن كثيراً من البضائع التجارية التي كانت ترد إلى الخليج العربي

وبالعكس كانت تنقل عن طريق نهر الفرات، وعلى ما يبدو فإن تأمين وصول البضائع التجارية إلى الدولة الآشورية عن طريق هذا النهر كان يتم عن طريق قناة تقع قرب مدينة بغداد، إن استعمال هذا الطريق تحدده وبطبيعة الحال علاقة الدولة الآشورية ببابل، حيث كان بمقدور بابل وقف المراكب المائية الذاهبة والواردة من خلاله وأما **الطريق البري**: فامتدت حدود الدولة الآشورية خلال عصرها الإمبراطوري الثاني من الجهة الشرقية حتى مدينة اكبتانا والواقعة في مدينة همدان الحالية، أي إنها ضمت حدودها، بحيرة وان، وبحيرة اورميا، وجبال زاجروس، فضلاً عن منطقة سوسة، إن وقوع هذه المناطق تحت سيطرة الدولة الآشورية مكنها من استخدام مسالكها التجارية مما أمَن وصول البضائع الآتية إليها من الأقاليم الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية الشرقية، أما البضائع التجارية التي كانت ترد إلى الدولة الآشورية عن طريق الخليج العربي فإن وصولها إلى منطقة آشور كان يتم إضافة إلى الطريق الوارد ذكره، عن طريق جزيرة البحرين أولاً، ومن جزيرة البحرين كانت تنقل البضائع إلى ميناء (بوشير) والذي يقع على الساحل الشرقي للخليج العربي. ومن هذا الميناء كانت تنقل البضائع براً غلى سوسة ومنها شمالاً باتجاه منطقة آشور[٢٩].

المحور الثاني

الملوك الآشوريين:

أما في فترات العهد الآشوري فإن النصوص المسمارية قد ذكرت مناطق الخليج العربي وسفنها القادمة منها وفق اهتمام الملوك الآشوريين بتلك المناطق. والجديد هنا أن الآشوريين قد توسعوا بفتوحاتهم نحو سواحل البحر العلوي (البحر المتوسط) وأخضعوا الفينيقيين هناك وبالتالي إنهم أحسوا بأهمية الملاحة البحرية والسفن في إحراز الانتصارات العسكرية، لذلك قد وجهوا اهتماماتهم أيضاً نحو إقليم الخليج العربي وجعلوها ضمن مناطق نفوذهم ولو بصورة شكلية؛ إذ إن السيطرة على أقاليم دلمون ومكان وميلوخا تعني إعطاء مدلولات تُراثية مقدسة، أي ان طبيعة حكم هذا الملك تتصل بجذور أسلافه من حكام بلاد الرافدين لما تمتعت به هذه الأقاليم من أهمية دينية على مر العصور في العراق القديم[٣٠].

أولاً: الملك توكلتي- ننورتا الأول:

إن أول نص تاريخي آشوري يذكر الخليج العربي، أو بالأحرى أحد أقاليمه التجارية جاءنا من عهد الملك توكلتي- ننورتا الأول (١٢٤٤- ١٢٠٨ ق.م)[٣١] حيث يذكر هذا الملك من بين ألقابه لقب ملك ميلوخا ودلمون[٣٢]. كما في النص الآتي:

MAN KUR til-mu-un ù KUR me-luḫ-ḫi[33].

(ملك بلد دلمون وبلد ميلوخا).

ثانياً: الملك شمشي – أدد الخامس:

لقد تكررت حملات شمشي – أدد الخامس إلى منطقة وسط وجنوب بلاد بابل، ففي سنة ٨١٢ ق.م قاد حملة أخرى ضد العاصمة بابل وتمكن فيها من أسر الملك البابلي بابا– أخا– أدينا(Baba – aḫa – iddina) مع عائلته واقتيدوا إلى آشور، وأنه عاد في السنة اللاحقة أي سنة ٨١١ ق.م وتمكن من دخول بابل وكوثى و بورسبا وقدم القرابين للآلهة في تلك المدن، ثم استمر في تقدمه جنوباً حتى وصل إلى الخليج العربي، وتسلم هدايا الطاعة والولاء من شيوخ القبائل الكلدية ولقب نفسه بملك سومر وأكد(٣٤).

ثالثاً: الملك شلمنصر الثالث:

وصلت القوات الآشورية إلى ساحل الخليج العربي لتهدئة قبائل كلديا، وتلقى هدايا ملوكها، حيث جاء في نصوص الملك شلمنصر الثالث: " هبطتُ إلى كلديا، وقهرتُ مدنها، وسرتُ حتى البحر الذي يسمونه " بالبحر المالح " (الخليج العربي)، وتسلمتُ في بابل جزية " أديني بن داكوري " من الفضة والذهب وخشب " أوشو " والعاج..." وقد صور فنانوه جزية " بيت داكوري " (٣٥)، هذه يحملها أهلها بين صفوف النخيل، ويشرف عليها حراسهُ وكتبتهُ، وسجلوها على أبواب قصره المكسوة بصفائح البرونز في بلوات(٣٦).

رابعاً: الملك سرجون الثاني:

ففي عهد الملك **سرجون الثاني** فتحت المسالك التجارية مع أقاليم الخليج العربي، وفي الوقت ذاته استمرت التجارة مع أقاليم الخليج العربي بدليل أن بعض نصوص الملك سرجون الثاني تروي كيف أن هذا الملك بسط نفوذه العسكري والتجاري على الخليج العربي. إن ثلاثة من هذه النصوص تذكر الآتي:

أ– الملك أوبري (uperi) والذي يعيش مثل السمكة في وسط بحر الشروق، سمع بقوتي وجلب هداياه.

ب– أن الملك أوبري (uperi) ملك دلمون والذي يعيش في وسط البحر... ومن وسط أرضه اكتئب... وأرسل سفيره ليعرض علينا التنازل حيث جلب معه الهدايا والفدية.

جـ– أنا لملك أوبري (uperi) ملك دلمون والذي يبعد مسكنه مسافة ٣٠ بيرو (ساعة مضاعفة) في وسط بحر الشروق، مثل السمكة سمع بي وأرسل هداياه. إن هذا الملك الطيب والذي كرس أفكاره لأعمار مدنه والتي سقطت للرياح أصلح الحقول وجعلها صالحة للزراعة، كما قام بزراعة البساتين(٣٧).

في هذه النصوص ونصوص أخرى متشابهة نجد أن ملك البحرين في ذلك الوقت قام بتقديم الهدايا للملك سرجون الثاني، فلقد وصل الملك سرجون الثاني إلى اقليم من اقاليم اياتانا (قبرص) والتي تبعد مسافة رحلة سبعة أيام في عرض البحر (البحر المتوسط) .... (وعندما سمع اوبيري ملك دلمون (البحرين) الذي يقطن حرفيا يقع معسكره كالسمك (كناية عن الجزيرة)،على بعد ٣٠ بيرو (= ٣٢٤ كم) في عرض البحر (الخليج العربي) باتجاه مشرق الشمس، بقدرتي العظيمة أتى بهداياه لي)[٣٨]. وقد ذُكِر سرجون الآشوري عام ٧١٥ قبل الميلاد أنه غلب شعب ثمود في الحجاز جنوب الحِجِر[٣٩].

خامساً: الملك سنحاريب:

يذكر الملك سنحاريب في إحدى حولياته: (وبعد تدمير بابل، فإن غُبارها وصل إلى دلمون وقد رآه الدلمونيون ودخل الفزع إلى قلوبهم وخشوا من آشور فجلبوا الكنوز، ومع كنوزهم جلبوا حرفيين مهرة، والعربات النحاسية، والأدوات النحاسية، وأواني من صنع بلادهم)[٤٠].

تؤكد السجلات الملكية الآشورية حدوث عاصفة شديدة عند وصول الآشوريين إلى الخليج العربي وعبر الملك سنحاريب على الموقف بالقول: (.... تصاعدت أمواج البحر العاتية، دخلت خيمتي وجعلت جنودي يقيمون في سفنهم العظيمة، كأنهم في أقفاص لمدة خمسة أيام بلياليها...) ويستمر بوصف الأهوال والمصائب التي واجهت قواته حتى قدم القرابين إلى الإله أيا ملكة البحر العميق والتي هي عبارة عن سمكة[٤١].

عند ذلك لجأ الملك سنحاريب إلى السفن الكبيرة التي صنعها الدلمونيون، فضلاً عن مساعدتهم ومشاركتهم في الحملة البحرية الآشورية من خلال توجيه السفن وإرشادهم من خلال معرفتهم بطرق الملاحة البحرية، فضلاً عن المشاركة الفعلية في المواجهة العسكرية، يستفاد من النصوص المسمارية التي تحدثت عن حملة سنحاريب البحرية، إن السفن الخليجية كانت المشارك الأكثر جدوى في الحملة البحرية، كما أن هذه السفن قد أثبتت جدارتها وقوتها بمقارنتها مع السفن الفينيقية وسفن البحر المتوسط (القبرصية) أضف إلى ذلك جدارة ومهارة الملاحين الخليجيين وإثبات دورهم ومكانتهم عند الدولة العراقية القديمة على اختلاف فتراتها، إذن فقد أثبتت النصوص المسمارية (السومرية والبابلية والآشورية) في حضارة وادي الرافدين مكانة وأهمية سفن الخليج العربي القديم منذ عصر فجر السلالات السومرية ومروراً بالعصر الأكدي والعصر البابلي حتى نهاية حكم الآشوريين في البلاد، وقد تبين أن هذه السفن قد احتلت مكانة دينية بارزة في الأساطير والتراتيل الدينية وقد عُدت السيطرة عليها أو التعامل بها أو الإشراف عليها من الأمور

التي تكمل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، حتى عُدت في الأزمان اللاحقة إحدى مُرتكزات الدول في توجهاتها وتوسعاتها في مناطق الخليج العربي القديم(٤٢) .

سادساً: الملك أسرحدون:

من بين الألقاب المتعددة التي تلقب بها الملك أسرحدون فإنا نجده قد اتخذ لقب ملك دلمون ومكَان وميلوخا(٤٣).

سابعاً: الملك آشور- بانيبال:

لقد ذكرت لنا حوليات الملك آشور- بانيبال بأنه سيطر على إقليم دلمون والذي يقع في البحر الأسفل، وإنه جلب غنائم من هناك من بينها ١٦٠ طالنت من نبات دلكا شوشو و ٢٦ طالنت من النحاس والبرونز و ٤ انانيو (أواني) من النحاس(٤٤).

ما بعد حكم الملك آشور- بانيبال

إن النصوص الآشورية الملكية ما بعد حكم الملك آشور- بانيبال لم تذكر أي علاقة ما بين الخليج العربي والدولة الآشورية مما يدل على أن هذه المنطقة أصبحت تحت تأثير السلالة الكلدية وبالذات بعد أن قضى الملك الآشوري آشور- بانيبال على الدولة العيلامية قضاءً مبرماً(٤٥).

الخاتمة

إن الحديث عن صلات وعلاقات بلاد الرافدين بالخليج العربي له دوراً مهماً لما لهذه الصلات من تاريخ مترابط لِكِلا البلدين من نواحي مختلفة سواءً كانت ثقافية أم تجارية أم حضارية ولما يشمله الخليج العربي من مراكز مهمة مشهورة على مدى التاريخ وهي دلمون ومكَان وميلوخا فقد كانت هذه المراكز من أشهر المناطق التجارية مع بلاد الرافدين من حيث الاستيراد والتصدير وكوننا متجاورين، بل امتدت هذه الصلات عبر هذه المراكز حتى الهند والصين.

إن هذا البحث يوضح مدى العلاقات الطيبة والسلمية التي اتصفت بها منطقة الخليج العربي مع بلاد الرافدين وعدم الدخول في الحروب والنكبات والأمور المهلكة للشعوب من خلال تقديمهم الهدايا لملوك بلاد آشور ودفع الجزية واستقبالهم للملوك الآشوريين وترحيبهم بهم فليس هناك ما يدل على حدوث نزاعات وخلافات بل أن التجارة وصلت إلى بلاد الرافدين من خلالهم وخاصة التجارة القادمة من بلاد اليمن ووادي السند والهند.

لذا تم في هذا البحث عرض مقتطفات توضيحية عن منطقة الخليج العربي والأسماء التي اطلقت عليها وعن علاقاتها وصلاتها ببلاد الرافدين الشمالية وفي هذه الكلمات الختامية استطعنا أن نبين ونوضح تلك الصورة للعلاقات الطيبة لهاتين المنطقتين الشهيرتين في التاريخ القديم.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) طه، منير يوسف، النشاطات الآشورية في الخليج العربي، موسوعة الموصل الحضارية، ج١، موصل، ١٩٩١، ص١٢٢.

(٢) الراوي، فاروق ناصر، العلوم والمعارف، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص١٨١– ١٨٢.

(٣) الجميلي، عامر عبد الله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، اطروحة دكتوراه، موصل، ٢٠٠٦، ص٥٨.

(٤) الهاشمي، رضا جواد، المدخل لآثار الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٣.

(٥) شاكر، محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، الأردن، ٢٠٠٣ ص٤٢.

(٦) التركي، قصي منصور، العلاقات السياسية العراقية الخليجية في الألفية الثالثة قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية، عدد ١٦، ٢٠١٤، ص١١.

(٧) علي، عادل هاشم، سفن الخليج العربي أهميتها ودورها في بلاد الرافدين – دراسة في النصوص المسمارية، بحث منشور، مجلة الخليج العربي، مجلد ٤١، عدد ٣–٤، البصرة، ٢٠١٣، ص٢٠ .

(٨) ترجم البحر الأحمر من (Erythraeus) الإغريقية و (Erythraios) اللاتينية. وكلمة (Erythras) معناها: الأحمر. وسمي بهذا الاسم لأن شعاع الشمس يعطيه لوناً ضارباً إلى الحمرة. ينظر: جميل، فؤاد، الخليج العربي في مدونات المؤرخين – البلدانيين القدمين، سومر، ص٣٩.

(٩) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٢.

(١٠) الجنابي، قيس حاتم هاني، صلات العراق القديم التجارية مع الخليج العربي حتى ظهور الإسلام، بحث منشور، مجلة العلوم الإنسانية، واسط، ص١.

(١١) الهاشمي، رضا جواد، المدخل لآثار الخليج العربي، المصدر السابق، ص٢٣.

(١٢) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢١.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المعماري، رعد سالم محمد جاسم، الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠٠٦، ص١١.

(١٥) مصطفى، إسراء عبدالسلام، المسارج في بلاد آشور، بحث منشور، مجلة التربية والعلم، مجلد ٢٠، عدد١، موصل، ٢٠١٣، ص٩٩.

(١٦) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، المصدر السابق، ص٥٩.

(١٧) الهاشمي، رضا جواد، المدخل لآثار الخليج العربي، المصدر السابق، ص٣٩.

(١٨) المعماري، رعد سالم محمد جاسم، مصدر السابق، ص١٦.

(١٩) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، المصدر السابق، ص٤٦– ٤٧.

(٢٠) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٤.

(٢١) طه، منير يوسف، المصدر نفسه، ص١٢٤- ١٢٥.

(٢٢) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، ج١، بيروت، ٢٠١٢، ص٣٥٠.

(٢٣) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٤- ١٢٥.

(٢٤) عبدالهادي، سعدون وعقيل عبدالله ياسين، الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند في التاريخ القديم (٢٨٠٠- ٥٣٩ ق.م)، بحث منشور، مجلة كلية التربية، عدد١٠ ، واسط، ٢٠١٤، ص٥.

(٢٥) العكيلي، رجاء كاظم عجيل، سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠- ٢٣٧٠ ق.م) والثانية (٢٢٥٠- ٢١١٤ ق.م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٦٣.

(٢٦) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢٧) عبدالهادي، سعدون وعقيل عبدالله ياسين، المصدر السابق، ص٦.

(٢٨) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢٩) طه، منير يوسف، المصدر نفسه، ص١٢٥- ١٢٦.

(٣٠) علي، عادل هاشم، المصدر السابق، ص٨٩- ٩٠.

(٣١) بخصوص هذا الملك ينظر: أحمد، كوزاد محمد، توكُلتي- نئورتا مُنجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٩٣.

(٣٢) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(33) Grayson, A.K., "The Royal Inscriptions of the Mesopotamia Assyrian Periods", Toronto. Vol. 1, 1987.p, 275.

(٣٤) المهنا، رشا ثامر مزهر، التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١ – ٧٤٥ ق . م)، رسالة ماجستير غير منشورة، بابل، ٢٠٠٥، ص١٢٧.

(٣٥) بيت داكوري: وهي إحدى القبائل الكلدية التي سكنت في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد. ينظر: الجبوري، علي ياسين، القبائل العربية القديمة في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد، وقائع ندوة الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٦.

(٣٦) مهران، محمد بيومي، تاريخ العراق القديم، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص٣٧٧.

(٣٧) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٣٨) الجميلي، عامر عبدالله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، موصل، ٢٠٠٦، ص٢٨.

(٣٩) عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ط٢، لبنان، ١٩٩١، ص٢٩٧.

(٤٠) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٤١) الحديدي، أحمد زيدان، الصراع الآشوري مع القبائل الكلدية على السلطة في بلاد بابل، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، عدد ٥٠، موصل، ٢٠٠٨، ص١٧.

(٤٢) علي، عادل هاشم، المصدر السابق، ص٩٢- ٩٣.

(٤٣) طه، منير يوسف، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٢٤.